

## الموسيقى العربية في عهدنا الاول

فقد كانت الحسناء شاعرة الرثاء تغني مراثيها، وتغني الأعشى ميمون بن قيس متغزلا في ( هريره ) إحدى مغنيات الحيرة في أيام النعمان، وكان للحادي دور أساسي في رحلات التجار إذ على نغامته تقطع الإبل المفاوز غير شارعة بثقل حملاتها .

وعندما جاء الإسلام أقر الذوق السليم والصوت الحسن، ومن أبرز الشواهد على ذلك قوله تعالى : " إن أنكر الأصوات لصوت الحمير" وما روى عن عائشة رضي الله عنها : أن أبا بكر

رضي الله عنه دخل عليها في أيام منى وعندها جاريتان تدفغان وتضريان ، والنبي ﷺ متغش بثوبه، فانتهرهما أبو بكر فكشف النبي عن وجهه وقال : دعهما يا أبا بكر فإنهما أيام عيد. وجاء في سنن الحافظ ابن ماجه رضي الله عنه : باب الغناء والعزف ص 711 رقم 1897 عن الربيع بنت معوذ قالت : "دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم صبيحة عرسى وعند جاريتان تتغنيا وتندان آبائي الذين قتلو يوم بدر وتقولان فيما توقلان وفيما نبي يعلم ما في غد فقال أما هذا فلا تقولوه ما يعلم ما في غد إلا الله ."

رقم 1898 عن أم المؤمنين السيد عائشة رضي الله عنها قالت "دخل علي سيدنا أبو بكر رضي الله عنه وعندي جاريتان من جواري الأنصار تغنيان بما تقاولت به الأنصار في يوم بوغاث قالت وليستا بمغنياتين، فقال سيدنا أبو بكر : أبزمور الشيان في بيت النبي صلى الله عليه وسلم وذلك في يوم عيد الفطر ، فقال النبي عليه الصلاة والسلام : "يا أبا بكر إن لكل قوم عيد وهذا عيدنا " .

1899 عن أنس ابن مالك رضي الله عنه ان النبي صلّى الله عليه وسلم مر ببعض المدينة فإذا هو بجوار يضرنا بدفوفهن ويتغنين .  
نحن جور منب بني النجار يا حبذ محمد من جار  
فقال النبي صلى الله عليه وسلم : الله يعلم إني لأحبكن "

1900 عن ابن عباس رضي الله عنه قال : "انكحت عائشة ذات قرابة لها من الأنصار فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أهديتم الفتاة؟ . قالو نعم . قال : ارسلتم معها

من يغني. قالت : لا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إن الأنصار فيهم غزل فلو بعثتم معها من يقول : : "أتيناكم أتيناكم فحيانا وحيآكم "

وكذلك ما رواه الإمام البخاري عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه من كونه خرج ذات ليلة مع رسول الله ﷺ ومعهما سيدنا أبو بكر رضي الله عنه فإذا رجل يصل في المسجد فقام رسول الله ﷺ يستمع قراءته وقال فيه " من سره أن يقرأ القرآن كما أنزل فليقره على قراءة ابن أم عبد " ثم جلس الرجل يدعو فجعل الرسول ﷺ يقول له سل تعطه فقال سيدنا عمر " فقلت والله لا غدون إليه فلأبشره " قال فغدوت إليه لأبشره فوجدت أبا بكر قد سبقني فبشره فوا الله ما سابقته إلى خير قط إلا سبقني إليه ، وابن أم عبد هو سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وقد اشتهر بجمال الصوت .

وفي مناسبة أخرى قال سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه " قال لي النبي ﷺ أقرأ علي قلت يارسول الله أقر عليك وعليك نزل " قال نعم قفرائت سورة النساء حتى أتيت إلى هذه الآية ( فكيف إذ جننا من كل أمة بشهيد وجننا بك على هؤلاء شهيدا ) قال حسبك الآن فلتفت إليه فإذا عيناه تذرفان .

واشتهر أيضا من الصحابة بجمال الصوت في تلاوة القرآن الكريم سيدنا أبو موسى الأشعري رضي الله عنه وقد قال له رسول الله ﷺ على ( رواية الإمام البخاري) يا أبا موسى لقد أوتيت مزمارا من مزامير آل داود .

كما اشتهر من الصحابة سيدنا بلال الحبشي رضي الله عنه بحسن الصوت وقد اختاره ﷺ ليكون أول مؤذن في الإسلام .

وفي ذلك العصر أهدى المقوقس حاكم مصر جاريتين للنبي ﷺ فتزوج إحداهما وهي (ماريه) وأهدى الثانية لسيدنا حسان بن ثابت رضي الله عنه واسمها (سرين) فأصبحت مغنية مشهورة، إرتكزت عليها المدرسة الموسيقية وتتلذذ عليها جهابذة الفن .

وتناول موضوع جواز سماع الآلات والنغمات المطربات الإمام الفاضل الجليل الشيخ عبد الغني النابلسي رحمه الله في كتابه الذي عنوانه (إيضاح الدلالات في سماع الآلات ) وقد افتتحه بما يلي :

الحمد لله الذي شرح لعباده الأحكام، وأبان لهم الفرق بين الحلال والحرام وجعل سماع الحق فرضاً على الخاص منهم والعام وسماع الباطل حراماً عليهم من جملة الآثم، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ناصر دين الإسلام، وعلى آله وصحبه البررة الكرام ... وجاء فيه قول الرسول عليه الصلاة والسلام : استماع الملاهي معصية والجلوس عليها فسق والتلذذ بها كفر بالنعمة ، وأكد أن ذلك مرتبط بالملاهي، فإذا لم يكن فيه لهو فلا يحرم ، ولو كانت حرمة من حيث ذاته وصورته ومن حيث ما يصدر عن آلات الموسيقى من الأصوات المطربة لكان كل صوت مطرب حراماً وهو باطل لأن أصوات الطيور والشحارير المطربة ليست بحرام إجماعاً، وهكذا كان الفتاء بحرمة الآلات المطربات بشرط التقيد بالتلهي وهو الإعراض عن الطاعات ونسيان الفروض والواجبات والشتغال بالمحرمات والمكروهات كسماعها على الخمر والزنى فإذا انتفى هذا الشرط انتفت الحرمة .

وقال رجل لسيدنا الحسن رضي الله عنه : " ما تقول في الغناء قال: " نعمة الشيء الغناء يوصل به الرحم وينفس به عن المكروب ويفعل المعروف". قال عبد الله بن عوف، أتيت ابن عمر رضي الله عنهما وهو يتغنى بالركبانية فسمعتة يقول شعرا:

فكيف ثوائي بالمدينة بعدما قضي وطرا منها جميل الن معمر

فلما استأذنت عليه قال لي : "اسمعت ما قلت؟" قلت

نعم قال: أنا إذا خلونا قلنا ما يقول الناس في بيوتهم . وقال سيدنا معاوية لسيدنا عمرو ابن العاص رضي الله عنهما "أمض الى هذا الذي قد تشاغل باللهو وسعى في هدم مروؤته"، يريد سيدنا عبد الله ابن جعفر ابن ابي طالب فدخلا عليه وعنده سائب خاثر يلحن الغناء لجواريه فأمر بتحيهن وتتحى لسيدنا معاوية عن سريره.

فقال معاوية : " عد إلينا ما كنت فيه " فغنى ورددت الجواري معه وإذا بسيدنا معاوية

رضي الله عنه يحرك يديه ويتحرك ويمدّ رجليه يضرب بها وجه السرير فقال له سيدنا عمرو : "إتدافان الذي جئت تلحاه أحسن حال منك وأقل حركة" فقال سيدنا معاوية "أسكت فإن كل كريم طروب".

وقال سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ف بعض أسفاره لرباح المعترف غنني فغناه شعرا :  
أتعرف رسماً كالطرز المذهب بعمره فقرا غير موقف راكب  
فاصغى إليه وقال له : "أجدت بارك الله فيك".

فقال يا أمير المؤمنين لو قلت زه كان الي - قال ومازه قال كلمة كان كسرى إذا قالها أعطى من قالها له أربعة آلاف درهم ، قال إن شئت أن أقولها لك فعلت فأما إعطاء الأربعة ألف درهم فلا يجوز لي من مال المسلمين قال فبعضها من مالك فأعطاء أربعمئة درهم .

وصحت الأخبار وتواترت الآثار بإنشاد الشعر بالأصوات الطيبة بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان يوضع لسيد حسان منبر ف المسجد يوقم عيله ويفاخر عن الرسول عليه الصلاة والسلام .

وجاء عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه أنه كان يحدو للنبي صلى الله عليه وسلم في السفر وإن "انجشته" كان يحدو للنساء و"البراء" بن عازب كان يحدو للرجال فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا نجشته كيف سوقك بالقوارير وهذا دليل قاطع على إباحة الأصوات الطيبة بالشعر الموزون والمعنى المفهوم .

وأما بالنسبة للألعاب فقد روى عن السيدة عائشة رضي الله عنها أنها قالت أنه كان يوم عيد يلعب فيه السودان بالدرف والحراب فلما سألت رسول الله صلوات الله عليه وسلم قال لي تشتهين تنظرين فقلت نعم فأقامني وراءه وخذ على حده ويقول : "دونكم يا بني ارفده " حتى إذا مللت قال حسبك فقلت نعم قال فاذهبي .

وجاء في كتاب الملاهي عن يعقوب ابن اسحاق عن ابن العباس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم مر بحسان رضي الله عنه وقد فرش فناء اطنه ومعه اصحابه سماطين (صفين) وجاريتيه (سرين) معها مزهر وهي تغني :

هل عليا ويحكما ان لهوت من حرج

فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم وقال لا حرج عليك إن شاء الله .

وكان الشيخ إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف الأزهري من أبرز شيوخ الإمام الشافعي وكان إماما في الفقه والرواية وكان تعاطيه للغناء وسماعيه له مشهورا وقال أبو منصور عنه انه كان لا يسمع الطلبة الحديثة حتى يسمعهم الغناء نشيدا او بسيطا .

وكان رحمه الله قدم العراق سنة اربعة وثمانين ومائة فأكرمه هرون الرشيد وأظهر بره  
وسئل عن الغناء فأفتى بتحليله فأتاه بعض أصحاب الحديث يسمع منه فسمعه يغني فقال: لقد كنت  
حريضا على أن أسمع منك وأما الآن فال سمعت منك حديثا أبدا فقال إذن لا حدثت ببغداد ما  
أقمت حتى أغني قبله فبلغ ذلك الرشيد فدعا به فسأله عن أحاديث المخزومية التي قطعها النبي  
صلى الله عليه وسلم في سرقة الحلبي فدعا بعود فقال الرشيد أود المجرم؟ فقال لا ولكن عود  
الطرب فتبسم الرشيد ففهمها إبراهيم وقال له : بلغك يا أمير المؤمنين حديث السفية الذي آذاني  
بالأمس وألجأني إلى أن حلفت فقال نعم، فدعا له الرشيد بعود فغنى وحدث - ولنا في باب  
الطرائف موافق إيجابية تبيح الغناء والطرب من لدن الإمام مالك والإمام أبي حنيفة رضي الله  
عهما وبهذا ننهي الحديث عن هذا الموضوع باعتبار ما قدمنا يكفي لإقناع السادة المتزمتين الذي  
يتساهلون في تحريم الحلال كما يتساهل بعض الفساق في جعل المحرمات حلالا، وفي ذلك يقول  
الإمام الشافعي رضي الله عنه : ما بحثني جاهل إلا غلبني ولا باحثت عالما إلا غلبته

والله يوفقنا إلى ما يحبه ويرضاه